لمحة تاريخية عن منطقة تابلاط مع نهاية الفترة العثمانية وبداية الإستعمار الفرنسي.

د. عبد العزيز بوكنة
جامعة الجزائر

الموقع الجغرافي:

تقع منطقة تابلاط على سلسلة الأطلس التلي (المتيجي)، تحدها سهول بني سليمان الخصبة من الجنوب، ومن الشمال سهول متيجة، بلديات، الأربعاء، أولاد سلامة، وبوقرة. أما من الشرق فيحدها واد أو حوض يسر vallée de yasser، أما من الجهة الغربية، يحدها واد الحراش، واد لاَخرة، وواد حدو. وبذلك منطقة تابلاط تقع في الطرف الشرقي لجبال الأطلس المتيجي. وهي السلسلة الجبلية الممتدة من جبال زكار وبني مناصرة، أي من منطقة شرشال إلى جبال بوزقزة والأخضرية، ومتوسط إرتفاع هذه السلسلة الجبلية، يتراوح ما بين 800 إلى 1629 متر على مستوى سطح البحر. مثلا جبال موزاية، أعلى قمة بها تبلغ 1604 متر. أما جبال بني صالح عند قبائل بني صالح جنوب مدينة البليدة تبلغ 1629 متر، عند جبل (كاف) سيدي عبد القادر وهي بذلك تُعد أعلى قمة جبلية

بمنطقة الشريعة. أما سلسلة جبال منطقة تابلاط فتمتد على مسافة 50 كلم، أي من واد لاَخر (حمام ملوان) وواد بوللبان (بوقرة) جبال بوزقزة، ومنطقة بني خلفون. وقمم هذه السلسلة الجبلية تتراوح ما بين 800 إلى 1200 متر.أما مناخها، فهو بارد شتاءً، حيث تكسوها الثلوج وخاصة الصقيع أو الجليد.

منطقة تابلاط أثناء الفترة العثمانية:

كانت منطقة تابلاط تابعة إقليمياً وإدارياً إلى دار السلطان L´Algerois.

((...enfermé dans les limites de l´encien départememt D´Alger)) ك

ضمت دار السلطان المناطق التالية: منطقة الساحل وهضابها، سهول متيجة، جبا زكار، منطقة واجر، تمزقيدة وموزاية، جبال الشريعة، تابلاط. ومن مدنها الرئيسية، ما عُرف بالفحوص في العهد العثماني: مدينة الجزائر، البليدة، القليعة، شرشال. و عرف أيضاً بالأوطان، مفرد وطن، أي منطقة، أوطان بني خليل، بني موسى وغير أي المناطق القريبة من ساحل البحر، أو التل.أما المنطقة الثالثة، فهي المعر بالأطلس المتيجي، أي المناطق الجبلية والتي تقع عليها منطقة تابلاط. أي منط الأعراش، مفرد عرش، قبيلة، وهم سكان السلسلة الجبلية لدار السلطان.

ومن أهم طرقها البرية في العهد العثماني: طريق الشرق، أي الطريق المؤدي من السلطان إلى بايلك الشرق، قسنطينة. هذا الطريق كان يمتد عبر المناطق التالية: ح بني مزغنة، أي باب عزون، جسر قسنطينة، جسر الحراس، حوش القايد الحراش، قارة مصطفى، الفندق، واد قدارة، واد عيدي، واد الزيتون، جبل (Ammal) أو بوزقزة، وينتهي في عين السلطان، ليشق طريقه نحو الشرق مباشر مدة السير نحو الشرق الجزائري، كانت تدوم ستة عشر يوما، وسبعة أيام تستغرقها الرحلة من الجزائر إلى برج حمزة. أي مشقة كبيرة عبر هذا المسلق الج

أهم طريق ظل يسلكه المسافرون من الجزائر إلى جنوب منطقة تابلاط، هو الطريق الجبلي، والذي كان يمر من الحراش، أولاد سلامة، الأربعاء، سبت البلوط، قرب حجيرة (بلدية بعطة حاليا)، إلى نهايته عند قبائل بني يعقوب أو عند سوقهم المعروف، بسوق الثلاثاء، أي إلى بايلك التيطري، مدينة المدية.

((Route strategique. Beni Moussa, Beni Ahmed, BeniAzzoum Melloun, Beni Silem, Beni Mesra, Beni BOU Yagoub, Ouzra, Hassam Ben Ali ou Ould Brahim,Medea)).

أما القبائل التي سكنت منطقة تابلاط في العهد العثماني نجد بني خليفة، بني موسى وبني جعادة. ومن أشهر مداشرها: بني زلمان، بني وطاس، بني سليم، بني بوعثمان، بني زقلين، بني طوحة، بني بوضياف، مرحومنة، بعطة. ومن أشهر قبائل بني جعادة،نجد بني عمران الشرفة، بني بلقاسم، صنهاجة، متنّان بني سْليم، أولاد سيدي سالم، وأولاد ابراهيم. كما استقر في هذه الدائرة الجبلية، قبائل الزواتنة، بين بني جعادة وخنشنة، والمعرفة بقبائل المخزن. وكان أغلبهم من الكراغلة (Couloughlis) هاجروا قصرا من دار السلطان أي العاصمة إلى تلك المنطقة. كما كانوا أيام الحكم التركي، يقومون بحراسة الطريق البري (البايلك) المؤدي إلى بايلك الشرق، من أي أخطار تعيق سلامة المسافرين نحو قسنطينة. كما امتازوا بالشجاعة والفروسية، باحترام كبير من ساكنة المنطقة. مع الملاحظة أن مناطق بني جعادة كانت تتبع إدارياً إلى بايلك التيطري، لكن في أواخر العهد العثماني تم ضمها إلى دار السلطان، ربما لأسباب أمنية.

الأنشطة الإجتماعية لسكان منطقة تابلاط:

من الأنشطة الإجتماعية نجد صناعة الفخار، التي نالت شهرة كبيرة في الأواسط الفنية أصحاب هذه الحرفة فقد امتازت نساؤها بصناعة الأواني الفخارية المختلفة الأشكال

والأغراض، كما أنها امتازت بالروسومات الهندسية البربرية، والتي غلب عليها اللونين الأحمر والأسود، ونافست بذلك الصناعات الفخارية عند قبائل بني جعادة، أو قبائل بني مناصرة بزكار. كما تعاطى سكانها صناعة الفحم والأخشاب. أما من أبرز أسواقها الأسبوعية، نجد: سوق الخميس، والذي كان يُقام على ضفاف واد يسر، والذي يؤدي إلى منطقة برج أم نايل لكن يبقى السبت من أهم أسواق منطقة تابلاط.

كان السوق يقع بين بني خليفة وبني مصيرة أو بني موسى الجبل. كما سمي أيضا بسبت ملوان أو سبت البلوط ومن أسواقها أيضا سوق بني يعقوب أو سوق الثلاثاء.ومن أهم السلع المتداولة في تلك الأسواق نجد: زيت الزيتون، الصابون، الخشب، الفحم، والتبغ.أما الطرق الصوفية التي وجدت بالمنطقة، فهي: الطريقة الرحمانية، القادرية، الدرقاوية والشاذلية. لكن تبقى الطريقة الرحمانية أكبر إنتشارا بالمنطقة. أما الزيارات التي كانت تقام إلى هذه الزوايا، والتي كان يتردد عليها دوما سكان منطقة تابلاط في مواسم معينة فهي: زاوية الحاج محي الدين بن سيدي امبارك بمدينة القليعة، زاوية سيدي المربوسي بالأربعاء، زاوية سيدي خير الدين ببني موسى، زاوية سيدي الحبشي بأولاد منديل وزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وزاوية سيدي محمد بن عبد الرحمن (بوقبرين).ومن مناطقها الإشعاعية الفكرية، نجد منطقة قروما وتورتالين أين دُفنت البطلة الجزائرية لالة فاطمة نسومر، والمعروفة الآن بمنطقة العيساوية العيساوية، لكن نقلت رفاتها كما هو معلوم إلى مربع الشهداء بمقبرة العالية بالعاصمة سنة 1994 م.

ومنطقة تابلاط، شهدت مقاومة عنيفة ضد الإستعمار الفرنسي، فبجوارها أقام الأمير عبد القادر برج حمزة، وعلى منطقة لالة القلعة بجبال بني مصيرة أي غرب ولاية لاخرة، أقام الأمير فرقته للخيالة والمعروفة اليوم عند عامة السكان بالملعب، كما قضى آخر ليلته حسب رواية الكولونال الفرنسي تريملي، سنة 1847 م، بضريح لالة تيفلنت (Lalla Imma Tifellent) وهذا قبل رحيله إلى منطقة الغرب الجزائري.

مراجع الموضوع:

- **Confreries Musulmanes**: R.S.:louis petit Librairie Bloud et Barral,(paris1899).
- **Voiyage dans la Régence D'Alger**: le DR. Show Chez Marlin, Editeur,(paris 1830)
- **Blida Récits selon l'égende, la Tradition & l'Histoire**: le colonel C.Trumelet Adolphe jourdan, Libraire-Editeur, (Alger 1887)
- **Mœurs et coutumes de L'Algerie,Tell-Kabylie-Sahara**: La Général Daumas.Libraire de L. Hachette et Cie, (paris 1853).
- **L'Algerois Rural a la fin de L'epoque Ottomane (1791-1830)**: Pr. NACEREddine Saidouni.Dar Al-Gharb Al-Islami,(Beyrout 2001)